



في مسقط تعانق الفن البحريني بالتراث العماني

السبت 23 مارس 2019

في أمسية يوم الأحد الماضي، وفي قلب مدينة مسقط العريقة الغارقة في عبق التاريخ، وفي "بيت مُرنة" التراثي، تألق الفن البحريني المتجدد في أبداع حلل الرسم التشكيلي، وفي أرقى وأبهى تجليات الابتكار الفني والإبداع، الذي تعانق مع عشاق ورجال الفن والثقافة والذوق العماني الأصيل، فاجتمعت في ذلك المكان الحضارة والثقافة والأصالة والفن والتراث محفوفة بمشاعر وأواصر الأخوة والمودة التي تربط الشقيقين البحريني والعماني والتي تمتد جذورها إلى أعماق تاريخهما وفي شرايين وجدانهما .

لقد سُدعت بالمشاركة في تلك التظاهرة الحضارية وفي تلك الأمسية الجميلة التي تم فيها افتتاح معرض الفنان الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة تحت عنوان "بالتوازي". وكان على رأس الحضور معالي الشيخة مي بنت محمد بن إبراهيم آل خليفة رئيسة هيئة البحرين للثقافة والآثار، وصاحب السمو السيد عزان بن قيس بن طارق آل سعيد وسعادة الدكتور جمعة بن أحمد الكعبي سفير مملكة البحرين لدى البلاط السلطاني العماني، وعدد من الوجهاء والسفراء وكبار المسؤولين والمهتمين بالشأن الثقافي والفني، إلى جانب حضور ثلة من أبرز الفنانين التشكيليين البحرينيين الذين انضموا إلى هذه التظاهرة مما عزز من ثقل الحضور الفني البحريني في عاصمة السلطنة.

"بالتوازي" كان عنوان أو موضوع المعرض كما ذكرنا، وهي ترجمة، كما يبدو، للعنوان الأساسي الإنجليزي "Parallel"، وفي رأيي فإن التعريب أو الترجمة الأفضل لهذا العنوان هي كلمة "مواكبة" أو "بالمواكبة" التي تعكس حقيقة وواقع الحدث؛ حيث إن المعارض كانت تسجل وتتابع حركة ومقدرة الفنان الشيخ راشد على مواكبة التطور الذي شهده ويشهده المجال الفني، بما في ذلك تطور الأساليب والأدوات والمواد المستخدمة في الأعمال الفنية، وقد نجح منظمو المعرض في تسجيل وإبراز مقدرة الفنان الإبداعية عبر الأعمال واللوحات والمجسمات المعلقة على الجدران التي تنتقل بالناظر بين مختلف المحطات التي عبرها الفنان في مسيرته الفنية وتفاعله المحسوس مع المتغيرات والمستجدات.

وكما حصل في لندن في معرض "ظلال" الذي نُظم في شهر أكتوبر من العام الماضي، فقد برز وتألق الشيخ راشد في مسقط كفنان قدير ومبدع مع شجاعة فائقة وطاقة متميزة على مواكبة

التطورات والمستجدات التي تشهدها الساحة الفنية، ومقدرة خارقة على إبداع الأفكار وإعادة ابتكارها حتى تتجسد من خلال الممارسات الفنية المعاصرة.

ما أروع الفنون وما أجملها! إنها وسيلة فعالة للتعبير والتواصل، وكما قال الفيلسوف الألماني جورج هيغل: "الفنون هي المصدر الثالث لفهم الحضارات بعد الدين والفلسفة، فالدين يعطي التوازن داخل الإنسان، والفلسفة تعطي الرؤية لكيفية الحياة، والفن يعطي التواصل مع بقية أفراد المجتمع."

والفنون بمختلف صورها تعتبر من أهم أسس ازدهار وتقدم أي حضارة إنسانية ومن أهم قواعد تطورها ونموها العلمي والثقافي. إننا نستمتع بالتوازي في حياتنا اليومية بمنتجات الإبداع العلمي بقدر ما نتمتعنا مخرجات الإبداعات الفنية، والخيال هو عنصر مشترك بين الإبداعات العلمية والفنية.

وإلى جانب الخيال، وبدون أدنى شك، فإن هناك علاقة وثيقة وترابطاً قويا واضحا بين الفنون والعلوم، فالفنون تغذي العلوم وتحفز مخيلة الابتكارات والإبداعات والاكتشافات العلمية، وعندما ترتقي الفنون وتتقدم يرتقي معها التطور الفكري والعلمي والنمو الاقتصادي في المجتمع. وبذلك يصبح الفنان في الحقيقة ركيزة الحضارة ومحرك قاطرة التطور.

ولم يكن ليوناردو دافينشي رسامًا عظيمًا فقط بل كان، كما يعتبره كثير من مؤرخي العلوم في العالم، الأول في كثير من الحقول العلمية الحديثة.

كان جاليليو مدرّسًا للرسم الهندسي، وكان مولعًا بشكل مفرط بفن الظلمة والضوء وتوزيعهما في اللوحة، ونتيجة لهذا الولع، وما تبعه من أبحاث وتجارب، اخترع جاليليو التلسكوب في العام ١٦١٠م، واعتبر تاريخ ذلك الاختراع بداية عصر العلوم الحديثة.

وقال العالم المشهور ألبرت آينشتاين: "إن لي من شخصية الفنان ما يكفي لأنسج من خيالي ما أريد". وقال في موقع آخر: "لو لم أقرأ قصة الجريمة والعقاب لدوستوفسكي، لما توصلت، ربما، إلى النظرية النسبية."

ويقول أستاذ تاريخ العلوم والفلسفة في جامعة لندن آرثر ميلر: "إن آينشتاين وبابلو بيكاسو كانا في وقت واحد يعالجان خاصية المكان أو الفضاء، وكيفية التطلع إليه بطرق مختلفة من قبل مشاهدين عديدين؛ آينشتاين اكتشف النسبية وبيكاسو التكعيبية."

فتحية صادقة وتهنئة من القلب للفنان القدير الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة ولفناي البحرين كافة، ودعوة مخصصة إلى حكومتنا الرشيدة لتكثيف رعايتهم للفنانين بشكل خاص وتكريمهم والاهتمام بالقطاعات والمرافق الفنية والتراثية، فإن كل ذلك يأتي فعلاً ضمن الاهتمام وصون ركائز حضارتنا وتراثنا وتاريخنا ومحركات نمونا وتطورنا الثقافي والحضاري والاقتصادي.